

إيبارشية لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية

المحاضرة السابعة

شعب كنيسة أبي السيفين والأنبا أبرام في تورانس Torrance

مساء السبت ٢٠١٤/٣/١٥ م

عشيّة أحد الابن الصّال من الصّوم المقدّس الكبير

- ٢ معنى العيد أو المناسبة الكنسيّة من الوجهة الإيمانية
- ٢ قراءات اليوم تعلّمنا الطّريق إلى التّوبة
- ٣ المحور العام الذي تدور حوله قراءات الصّوم المقدّس الكبير
- ٤ عودة إلى قراءات أحد الابن الصّال

معنى العيد أو المناسبة الكنسيّة من الوجهة الإيمانية

كلمة "عيد" عربيّة الأصل، دخلت اللّغة العربيّة، وصارت إحدى الكلمات الأساسيّة فيها. فكون "العيد" كلمة عربيّة فصحى فهي تعني: "أيّ يوم فيه جمّع"، واشتقاقه من عاد - يعود، أي ما يعود إليه الإنسان مراراً متكرّرة. وقيل أيضاً إنّ اشتقاقه من العادة، لأنهم اعتادوه^(١). فهو "عيدٌ" لأنه يعود كلّ سنة، وإن كان في العودة تكرر، فإنها في العيد تجدد وبهجة.

وإنّ عدنا إلى كتاب العهد القديم، نجد أنّ المذبح الذي بناه بنو راووين وبنو جاد ونصف سبط منسى على الأردن في عبر الأردن غرباً سُمّي "عيد"، لأنه شاهد بين هذه الأسباط وبقية أسباط إسرائيل الاثني عشر، أنّ الرّب هو الله^(٢). فجاءت كلمة "عيد" في العربيّة لتعني "شاهد"، ومنها الكلمة العبرانيّة "جلعيد" التي تعني "رجمّة الشّهادة"^(٣)، وهو العامود الحجري الذي أوقفه يعقوب "شاهداً" أو "عيداً" بينه وبين لابان خاله.

إذاً "العيد" من حيث كونه كلمة عربيّة، تعني "شهادة" - وليس عربيّة تعني تكرر العودة - صار هو المعنى المقصود في أعياد الكنيسة، لأنّ العيد في الكنيسة المسيحيّة هو شهادة مستمرة ودائمة أنّ يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد. وما فعله من تدبير خلاصي من أجلنا، هو فعل حاضر دائم في الكنيسة. وكلّ "عيد" في الكنيسة هو شاهدٌ لهذا الفعل الإلهي الخلاصي. ومن هذا المعنى، فالعيد في الكنيسة المسيحيّة ليس ذكرى لحدث، أو تكراراً له، بل هو شهادة لفعل دائم حدث في الإنسان من جهة خلقته الجديدة، وخلاصه الأبدي، تتركز أحداثه في يوم العيد نفسه^(٤).

وهناك أيضاً كلمتان في العربيّة، تُترجمان إلى "عيد" في العربيّة:

الأولى هي: "مُوعِد" mo'ed التي تعني "ميعاد محدّد"^(٥).
الثانية هي: "حاج" hag أي "محفّل أو احتفال"^(٦).

إلا أنّ كلمة "مُوعِد" تؤكّد على زمن العيد، بينما كلمة "حاج" توضّح طبيعة العيد. ومن هذه الكلمة الأخيرة "حاج" جاءت كلمة "حاج" في العربيّة، إذ أنّ الكلمة العربيّة "حاج" مشتقة من فعل له عدّة معاني متعدّدة، ومن بينها الفعل "يجح" أي يقوم برحلة لمكان مقدّس.

ولقد استخدمت كلمة "حاج" لتشير بالتّحديد إلى ثلاثة أعياد عربيّة كان يلزم على كلّ ذكّر من بني إسرائيل أن يترأى فيها أمام الرّب في هيكّل أورشليم، وهي: عيد الفصح (أو عيد الفطير)، وعيد الخمسين (أو عيد الحصاد أو عيد الأسابيع)، وعيد المظال (أو عيد الجمع). ففي هذه الأعياد الثلاثة «يحضر جميع ذكورك أمام الرّب إلهك في المكان الذي يختاره، في عيد الفطير وعيد الأسابيع وعيد المظال» (تثنية ١٦: ١٦). أمّا غير هذه الأعياد الثلاثة، فكان العيد يُدعى "مُوعِد".

قراءات اليوم تعلّمنا الطّريق إلى التّوبة

قبل الحديث عن قراءات اليوم باختصار أوّلاً أن أشير أوّلاً إلى المحور العام الذي تدور حوله قراءات الصّوم المقدّس الكبير.

١ - لسان العرب لابن منظور، ص ٣١٥٩

٢ - يشوع ص ٢٢

٣ - تكوين ٣١: ٤٧

٤ - علينا أن نتابع القراءات الكنسيّة في الأعياد السيديّة، لنجد فيها ما يخصّ خلاصنا نحن. ففي عيد الميلاد مثلاً: «الرّب قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك». وفي عيد الغطاس: «...». وفي عيد القيامة: «...». وفي عيد العنصرة: «...» وهكذا.

٥ - انظر: لاويين ٢٣: ٤، ٣٧

٦ - انظر: لاويين ٢٣: ٦، ٣٤، ٣٩، ٤١

المحور العام الذي تدور حوله قراءات الصّوم المقدّس الكبير

يمكن تقسيم قراءات الصّوم الكبير كلّها إلى أربع وحدات، حيث تبدأ كلّ وحدة بقراءات يوم الأحد، وتمتد لتشمل قراءات الأسبوع التّالي لهذا الأحد^(٧).

– **الوحدة الأولى**، تتكوّن من قراءات الأسبوعين الأوّل والثّاني مع قراءات أحد الرّفاع والأحد الأوّل. أمّا محور قراءات هذه الوحدة الأولى، فهو: ”جرّبوا أنفسكم، هل أنتم في الإيمان؟“ ولكن يظل موضوع التّوبة والمغفرة للآخرين يحتل مكانه الأساسي، لأنّ التّوبة والمغفرة لا يمكن عزلهما عن الإيمان. أمّا فصول قراءات الأحد الأوّل التي تحدّثنا عن ضرورة الإيمان وعدم الاهتمام بأمور هذه الحياة، فهي المحور الرّئيسي لهذه الوحدة، أي للأسبوع السّابق له والأسبوع اللاحق له، أي الأسبوعان الأوّل والثّاني.

وهكذا تكون الكنيسة قد هيمت بكلمة الرّب، لكي تدخل مع المسيح صومه الخلاصي، في خلوة معه، لا في برية قاحلة، لا خبز فيها ولا ماء، ولكن في حياة أسقطت عنها الاهتمامات الرّمزيّة الخادعة، حياة تعيش في هذا العالم دون أن تغرق في مياهه. وهكذا تنتقل إلى الوحدة الثّانية.

– **الوحدة الثّانية**، تتكوّن من قراءات الأسبوع الثّالث، مع قراءات الأحد الثّاني. والموضوع الرّئيسي لهذه الوحدة هو ”التّجربة على الجبل“، والذي يبنّي حوله الصّوم الكبير كلّها بكلّ طقوسه. وتكرّر قراءة فصل التّجربة على الجبل في إنجيل قُدّاس يوم الأربعاء من الأسبوع الثّالث، ولكن من بشارة القديس لوقا هذه المرّة (لوقا ١٣: ٤-١٤)^(٨). والكنيسة القبطيّة هي الوحيدة بين كنائس الشّرق المسيحي التي تخصّص واحداً من آحاد الصّوم الكبير ليحمل اسم ”أحد التّجربة على الجبل“، كونه السّبب الأساسي الذي بُني الصّوم كله عليه. فإذا استثنينا الأسبوع الأوّل باعتباره خارجاً عن الصّوم الأربييني نفسه، فقد اختارت الكنيسة الأحد الثّاني من الصّوم – أي بعد مرور أسبوع واحد من الصّوم الأربييني – ليكون هو أحد التّجربة على الجبل، حتى تكون الكنيسة قد هيمت في الأسبوع السّابق لأحد التّجربة، متخلية عن كلّ اهتمامات أرضيّة، مهتمّة بخلوها مع الرّب الذي صام من أجل الكنيسة كلّها.

– **الوحدة الثّالثة**، تتكوّن من قراءات الأسبوعين الرّابع والخامس مع قراءات الأحدين الثّالث والرّابع. وهما أسبوعا الابن الضّالّ والمرأة السّامريّة^(٩). فمحور القراءات فيهما هو البنوّة الجاحدة، التي بسبب الجهل، صارت بنوّة غريبة عن الله. وفي المقابل، دعوة الغرباء ليصيروا وارثين ميراث البنين الرّافضين أبوة الله.

– **الوحدة الرّابعة**، تتكوّن من قراءات الأسبوعين السّادس والسّابع مع قراءات الأحدين الخامس والسّادس. وهذه الوحدة تتحدّث عن مريض بركة بيت حسدا، وشفاء المولود أعمى. أمّا المحور الرّئيسي لها، فهو إعلان الرّب يسوع عن نفسه تدريجيّاً، حتى يكتمل كمال الإعلان بالقيامة من بين الأموات، بحسب كلام الإنجيل: «تعيّن ابن الله بقوّة، من جهة روح القداسة، بالقيامة من الأموات». وفي المقابل، يقابلنا موقف الإنسان نفسه من استعلان الرّب في حياته، إمّا بالقبول وذلك بالإيمان – وهي الأيام الأولى من هذه الفترة – أو بالرّفص الكامل حتى إلى حد تسليم الرّب للموت، وهو ما يتّضح جليّاً في قراءات الأسبوع السّابع من الصّوم. وهنا يكون الدّخول الطّبيعي لقراءات أسبوع البصحة المقدّسة، عندما يتّضح لنا بغاية الوضوح رفض المسيح في بيته، إذ خرج الرّب حاملاً صليبه الذي صلّبه عليه أهل بيته.

٧- يلاحظ القارئ العزيز أنّ ترقيم أسابيع الصّوم يزيد برقم واحد عن ترقيم آحاد الصّوم، حيث أنّ الأسبوع الأوّل من الصّوم يعقبه الأحد الأوّل. على اعتبار أنّ الأحد الذي يسبق الأسبوع الأوّل يُسمّى أحد الرّفاع، وليس الأحد الأوّل.

٨- وجددير بالذكر أنّ الطّقس السّرياني يبدأ بقراءة إنجيل التّجربة بحسب القديس متى يوم الاثنين الأوّل من الصّوم، ويعيد ذات القراءة يوم الجمعة السّادسة من الصّوم، والذي يُسمّى ”جمعة الأربيين“.

٩- يُسمّى أحد السّامريّة بأحد النّصف، أي منتصف الصّوم تماماً. أمّا الكنيسة السّريانيّة والتي لا تصوم الأسبوع الأوّل من الصّوم – أسبوع هرقل – فإنّها تُسمّى الأربعاء الرّابع من الصّوم بنصف الصّوم، وهو اليوم الخامس والعشرون من الصّوم، حيث أنّ المدّة الكليّة للصّوم هي خمسون يوماً.

هذا عرضٌ موجزٌ لما تدور حوله قراءات الكنيسة القبطيّة في الصّوم المقدّس الكبير، وهو النّوع المشهور من أنواع دراسة الكلمة.

• وبهذا الصّدّد أوّلاً أن أشير إلى أن هناك نوعاً من دراسة القراءات الكتابيّة، وهو ربط قراءات السّفَر الواحد ببعضها البعض على مدى الصّوم كلّه. كمثال لذلك قراءات الإبركسيس على مدى آحاد الصّوم، أو قراءات الإبركسيس على مدى أيام الجُمع فقط من الصّوم، أو قراءات البولس في أيام الأربعاء مثلاً من الصّوم، وهكذا.

وأما من جهة فصل الإبركسيس على مدى آحاد الصّوم الكبير، فنستطيع أن نتابع المراحل الأخيرة من حياة بولس الرّسول، والتي فيها نكاد أن نرى تطابقاً بينها وبين مراحل آلام السيّد المسيح في أسبوعه الأخير^(١).

ففي أحد الرّفّاع: دخل بولس إلى الهيكل ليكّمّل التّطهير (أعمال ٢١: ١٥-٢٦). ودخل المسيح في أحد الشّعائين إلى أورشليم ليطهّر الهيكل.

وفي الأحد الأوّل: وقف بولس وتحدّث إلى الشّعب (أعمال ٢١: ٤٠-٢٢: ١٦). كما تحدّث المسيح إلى رؤساء الكهنة والكتابة بعد تطهير الهيكل.

وفي الأحد الثّاني: محاكمة الرّسول بولس أمام المجمع، حيث ضربوه على فمه (أعمال ٢٣: ١-١١). فتأمّل في المقابل، ما حدث ليسوع.

وفي الأحد الثّالث: عرّض حنانيا والشّيوخ شكواهم على الوالي ضدّ بولس (أعمال ٢٤: ١-٢٣). وهو ما فعل اليهود بعرضهم شكواهم على بيلاطس ضدّ يسوع.

وفي الأحد الرّابع: وقوف بولس أمام الملك (أعمال ٢٥: ١٣-٢٦: ١). كما وقف يسوع أمام بيلاطس.

وفي الأحد الخامس: محاكمة بولس (أعمال ٢٦: ١٩-٢٧: ٨). فتأمّل في المقابل، ما حدث مع يسوع.

وفي الأحد السّادس: الآلام القاسية التي عاناها بولس وهو في السّفينة التّائهة في البحر. وفي هذه الفترة أخذ الخبز وشكر (أعمال ٢٧: ٢٧-٣٧).

وفي الأحد السّابع: نشأه مع العسكري الذي كان يجرسه، ولكن الحراسة لم تستمر. وكيف أن المسيح دُفن وكان حرساً على قبره، لكنّه قام.

أما إبركسيس أحد الشّعائين، فهو حديثٌ عن حرّيّة المؤمن الذي قام مع المسيح.

عودة إلى قراءات أحد الابن الضّالّ

• قراءات اليوم تعلمنا الطّريق إلى هذه التّوبة، وكيف نصل إليها. وهنا لا بد من وقفة لكي نتأكّد أن مناسبات الكنيسة وأعيادها هي من أحليّ أنا، وليس من أجل تذكّار تاريخي حدث في الزّمن وعبر. لأنّ فعل المسيح هو فعل إلهي يبدأ في الزّمن لكي يمتد ويعبر حدود أيّ زمان وأي مكان.

وحثّ الأعياد السيديّة، المختصّة بالسيّد المسيح، هي من أحليّ أنا. وأوّد أن أنبه ذهنكم إلى أن الآيات المختارة من المزامير كمقدمة لأناجيل هذه الأعياد السيديّة، تشرح لنا ما أوّد أن أقوله. ففي عيد الميلاد: «الرّب قال لي (أنا) أنت ابني وأنا اليوم ولدتك». وفي عيد الغطاس: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا». وفي عيد القيامة: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرّب فلنفرح ولنبتهج فيه. يارب خلصنا، يارب سهل طريقنا. الله الرّب أضاء علينا». وهكذا في باقي مناسبات الكنيسة وأعيادها.

والملاحظة التي يلزمنا أن نعيها جيّداً، أن مزامير الأناجيل في أعياد ومناسبات الكنيسة، هي بمثابة صلوات مركزية، تلخص العيد أو المناسبة الكنسيّة في عبارة واحدة أو عبارتين. وفي معظمها هي بمثابة صلاة نصليها في الكنيسة أثناء ترتيلها على المنجلية. أي أن الكنيسة تضع أمامنا السبيل والطريق للوصول إلى الاستفادة الشّخصيّة من هذا العيد أو هذه المناسبة الكنسيّة.

١٠ - انظر: دكتور وليم سليمان، جزء من مقال عن قراءات الصّوم الكبير، مجلّة مدارس الأحد، مارس سنة ١٩٨٢م. يُقرأ من سفر الأعمال على مدى الصّوم الكبير حوالي ٢٣ إصحاحاً.

وفيما يلي ما تقوله مزامير أناجيل عشيّة وباكر والقُدّاس لأحد الابن الضّالّ الذي نحن بصددده اليوم: «ياربُّ إله خلاصي. بالتهّار واللّيل صرخت أمامك. فلتدخل قدامك صلاتي. أمل يارب سمعك إلى طلبتي. هلليلويا» (عشيّة المزمور ١٠٨: ٢).

«أنصت يا الله لصلاتي. ولا تغفل عن تضرعي. التفت واستمع مني. وأنا إلى الله صرخت، والرّب استجاب لي. هلليلويا» (باكر المزمور ١٠٤: ١٤).

«لا تذكر آثامنا الأولى. فلتسبق لتدركنا رافاتك سريعاً. لأننا قد افتقرنا جدّاً. أعنا يا الله مخلصنا من أجل مجد اسمك. هلليلويا» (قُدّاس المزمور ٧٨: ٧، ٨).

«أعظمك يارب لأنك احتضنتني ولم تشمت بي أعدائي. أيها الرّب إلهي صرخت إليك فشفيتني. يارب أصعدت نفسي من الجحيم. هلليلويا» (مساء المزمور ٢٩: ١-٣).

ولاحظ هنا أن هذا المزمور الأخير يُقال في صلاة مساء الأحد بعد أن نكون قد تناولنا من الأسرار المقدّسة.

• وأمّا من جهة قراءات هذا اليوم المقدّس، فإنجيل عشيّة (متى ١٥: ١-٢٠) يقول فيه الرّب: «قد أبطلتم كلام الله من أجل سننكم. أيها المراؤون حسناً تنبأ عنكم إشعيا النبي قائلاً: هذا الشعب يكرمني بشفتيه، وأمّا قلبه فيبعد عني. فهم باطلاً يعبدوني إذ يعلمون تعاليم هي وصايا النّاس».

وإنجيل باكر (متى ٢٠: ١-١٦) وهو عن الفعلة والكرم. نقرأ فيه ما يقوله الرّب: «... فلما كان المساء، قال رب الكرم لوكيله: ادع الفعلة وأعطهم أجرهم، مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين (فأخذ كل واحد ديناراً) فتذمروا على رب الحقل قائلين: هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار وحره. فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب ما ظلمتك، أليس على دينار اتفقت معك. خذ الذي لك واذهب فيني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك ... هكذا يكون الآخرون أولين، والأولون آخريين».

وإنجيل القُدّاس (لوقا ١١: ٣٢-١١): «ابني هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالّاً فوجد. فطفقوا يفرحون».

وأمّا أنجيل المساء (متى ٢٨: ٢١-٣٢): «ماذا تظنون، كان لإنسان ابنان، فجاء إلى الأوّل وقال له: يا ابني امض اليوم واعمل في كرمي. فأجاب وقال: ها أنذا يا سيدي. ولم يمض. فجاء إلى الثّاني وقال له أيضاً هكذا. فأجاب وقال لا أريد. ولكنّه أخيراً ندم ومضى. فمن من الاثنين عمل إرادة أبيه؟ قالوا: الأخير. فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: إن العشارين والزناة يسبقونكم إلى ملكوت الله».

وأمّا عن قراءات الرّسائل وسفر الأعمال في خدمة هذا اليوم:

فصل البولس هو: (٢ كورنثوس ٦: ٢-١٣): «لأنه يقول في وقت مقبول سمعتك، وفي يوم خلاص أعتك. فهوذا الآن وقت مقبول، وهوذا الآن يوم خلاص ...».

ويقرأ فصل البولس على مدى الصّوم من جميع رسائل بولس الرّسول، عدا ثلاثة رسائل هي: كولوسي وفيليمون وتيموثاوس الثّانية.

فصل الكاثوليكون هو: (يعقوب ٣: ١-١٢): «لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخواني، عالمين أنكم تأخذون دينونة أعظم. فإن جميعنا نزل كثيراً. إن كان أحد لا يعثر في الكلام، فذاك رجل كامل، قادر أن يلجم الجسد كله ... جعل اللسان في أعضائنا وهو يدنس الجسد كله، ويجرق دائرة الكون، ويضرم من جهنم ... به نبارك الله الأب وبه نلعن النّاس الذين خلقهم الله على مثاله. من الفم الواحد تخرج البركة واللعنة. فلا ينبغي يا إخواني أن يكون الأمر هكذا».

ويُقرأ الكاثوليكون من كافة رسائل الكاثوليكون السّبعة

فصل الإبركسيس هو: (أعمال ١: ٢٤-٢٣): «سوف تكون قيامة للأموات، الأبرار منهم والأئمة. لهذا أنا أيضاً أدرب نفسي ليكون لي دائماً ضمير بلا عثرة أمام الله والنّاس».